

٦ – الانتظار الطويل : وقفة تعبوية

شهدت الأيام الأربعة (١٠ – ١٣ أكتوبر) تطورات هامة فى الموقف العسكرى ، على الجبهة السورية ثم الجبهة المصرية ، كاحدثت تطورات سياسية على المستوى العربى ، واستمرت الاتصالات التى كانت تدور بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة والأطراف المتحاربة مما كان له تأثير مباشر على تطور العمليات العسكرية فى المرحلة التالية .

ففى الجبهة المصرية ، كانت قوات الجيشين الثانى والثالث تقوم بتعزيز رءوس كبارى الجيوش ، وإعادة تنظيم القوات فى مناطق رءوس الكبارى . واستمر القتال بهدف تكبيد القوات الإسرائيلية ، أكبر خسائر ممكنة ، بينما تهدف قوات العدو إلى تعطيل تقدم قواتنا شرقا اعتباراً من يوم ١٠ أكتوبر بهجمات مضادة متكررة مع نشاط زائد للسلاح الجوى الإسرائيلى ، وكانت المعلومات التى وصلتنا تشير إلى وصول الامدادات العسكرية الإسرائيلية لإسرائيل حيث يتم تفريغها فى مطار العريش رأسا خلال يوم ١٠ والأيام التالية .

أما الموقف فى الجبهة السورية اعتباراً من يوم ١٠ فقد كان مثيراً للقلق . فقد تمكنت القوات الإسرائيلية من استعادة الجولان فى نهاية هذا اليوم بعد هجوم مضاد ناجح قامت به ، وتجاوزت خط ٦ أكتوبر اعتباراً من اليوم التالى ١١ أكتوبر . وكان السلاح الجوى الإسرائيلى قد بدأ هجماته الجوية ضد بعض الأهداف الاقتصادية السورية يوم ٩ أكتوبر ، انتقل بعدها إلى قصف العاصمة « دمشق » فى يوم ١٠ أكتوبر .

فى هذا اليوم ١١ أكتوبر ، أرسلت القيادة السورية مندوبا عنها إلى القاهرة يطلب تنشيط العمليات على جبهة سيناء لتخفيف الضغط الإسرائيلى فى الجولان . ولذلك قرر الرئيس السادات تطوير الهجوم فى سيناء اعتباراً من ١٣ أكتوبر[١] ، بعد أن شكل الموقف العسكرى فى الجبهة السورية عامل ضغط على الرئيس السادات سياسيا ، وعلى الفريق أول أحمد إسماعيل بصفته القائد العام لقوات الجبهتين المصرية والسورية

□ □ □

وقرر العراق يوم ١٠ الاشتراك فى الحرب ، وأرسل الفرقة الثالثة المدرعة إلى سوريا .

وفى نفس الوقت أعلن الأردن التعبئة لخدمة المجهود الحربى ، وخصص لواء مدرع للاشتراك فى القتال بالجبهة السورية .

وفى اليوم التالى - ١١ أكتوبر - قررت المملكة العربية السعودية إرسال لواء مشاة إلى الأردن لتدعيم موقفه .

وبوصول الفرقة الثالثة المدرعة العراقية إلى الجبهة السورية يوم ١٢ أكتوبر ، واشتراكها فى القتال مع القوات السورية ضد القوات الإسرائيلية التى تجاوزت خط السادس من أكتوبر ، ومع استمرار القتال يوم ١٣ أكتوبر وتحرك اللواء المدرع الأردنى فى اتجاه الجبهة توقف التقدم الإسرائيلى وبالتالى توقف الهجوم الإسرائيلى .

ودعما للجهد العسكرى العربى ، أوفد الرئيس السادات - صباح يوم ١٠ أكتوبر - المهندس سيد مرعى مساعد رئيس الجمهورية إلى المملكة العربية السعودية ودول الخليج يناشدها دعم المعركة العسكرية التى تخوضها مصر وسوريا ، على النحو الذى تراه وبالقدر الذى تحدده . ويقول مستشار الأمن القومى فى مصر « إن الرئيس السادات قرر فتح جبهة جديدة يمارس من خلالها الضغط على العالم الغربى والولايات المتحدة . وجاء هذا القرار رداً على دعم الولايات المتحدة لإسرائيل ، التى استمرت تقصف بورسعيد فضلاً عن مهاجمتها للأهداف المدنية السورية ... وبذلك فتحت مصر باب المعركة الاقتصادية » .

وفى إطار الاتصالات السياسية بالقوتين العظميين ، أرسل السيد حافظ إسماعيل[٢]

(١) مذكرات كسنجر فى البيض الأبيض - طبعة عربية - ص ٣٤٥ .
(٢) محمد حافظ إسماعيل - أمن مصر القومى - ص ٣٢٥ .

مستشار الأمن القومى ، بعد ظهر يوم ١٠ أكتوبر ، رسالة إلى الدكتور كسنجر تم تسليم صورتها إلى السفير السوفيتى بالقاهرة . كانت الرسالة تتضمن موقف مصر السياسى بصورة أكثر تحديداً ، وتناولت النقاط التالية :

١ – وقف إطلاق النار وانسحاب القوات الإسرائيلية فى فترة زمنية محددة إلى خطوط ما قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ تحت إشراف الأمم المتحدة .

٢ – حرية الملاحة فى مضايق تيران وضمانها بتواجد الأمم المتحدة فى شرم الشيخ لفترة محدودة .

٣ – عند إتمام انسحاب القوات الإسرائيلية تنتهى الحرب .

٤ – يوضع قطاع غزة بعد انسحاب القوات الإسرائيلية تحت إشراف الأمم المتحدة إلى أن يباشر سكانه حقهم فى تقرير المصير .

٥ – خلال فترة محددة من إنهاء حالة الحرب ، يعقد مؤتمر سلام تحت إشراف الأمم المتحدة تشترك فيه الأطراف المعنية بما فى ذلك الفلسطينيون والدول الكبرى ، وذلك لبحث المسائل المتعلقة بالسيادة والأمن وحرية الملاحة .

ومن رد كسنجر يوم ١٢ أكتوبر ، أصبح واضحاً – بتعبير حافظ إسماعيل – أن « الولايات المتحدة لم تكن على استعداد لقبول الربط بين وقف إطلاق النار وشروط سياسية للتسوية ، وأنها كانت لا تزال فى انتظار تعديل الموقف المصرى بقبول وقف إطلاق النار غير المشروط » .

وفى منتصف ليلة ١٢ أكتوبر استقبل الرئيس السادات السفير السوفيتى يحمل رسالة من القادة السوفيت ، « إنهم يقترحون – إذا وافقت مصر – أن تقدم إحدى دول عدم الانحياز مثل يوغوسلافيا مشروعا بوقف إطلاق النار . وأن إمريكا وإنجلترا يعملان معاً ، وتود إنجلترا أن تقدم إقتراحاً بوقف النيران على الخطوط الحالية » . ولكن الرئيس السادات رفض قبول هذا القرار ، وذكر أنه « ولو أن الموقف فى سوريا متأزم إلا أنه آخذ فى التحسن ، وأن سوريا لن تطلب وقف إطلاق النار ، ولا تريد مصر أن يقدم أحد اقتراحاً بذلك » .

□ □ □

وعلى الجانب الآخر ، اتصل السفير السوفيتى دوبرينين تليفونيا مع كسنجر بعد

الساعة الثامنة صباحا بقليل يوم الأربعاء ١٠ أكتوبر حيث أبلغه « أن المشاورات السوفيتية مع مصر وسوريا قد تأجلت حيث ظهر أنها غير مرضية ... وتستطيع موسكو الآن أن تثبت لنكسون أن الاتحاد السوفيتى مستعد الآن ، لعدم الوقوف فى وجه قرار لوقف إطلاق النار يتخذ فى مجلس الأمن » .

وفى إطار التعاون والتنسيق بين أمريكا وإسرائيل ، سأل كسنجر السفير الإسرائيلى دينتز عن الموقف العام . قرأ له دينتز رسالة وردت من جولدا مائير موجهة إلى نكسون تعبّر فيها عن امتنانها للقرار الحيوى الذى اتخذه لإعادة إمداد إسرائيل بالسلاح ، وقالت أن هذا القرار الذى وصلها فى الليلة الماضية له تأثير كبير وذو فائدة .

أجابه كسنجر قائلاً[1] « طالما أن إسرائيل قد اطمأنت لإعادة إمدادها ، فإنها ليست فى حاجة للاحتفاظ باحتياطيها ، وليست فى الوقت نفسه مضطرة إلى إجراء مناورات معقدة . كل ما يهم إسرائيل الآن العودة إلى خطوط ما قبل الحرب بأسرع ما يمكن ، أو تتجاوزها فى إحدى الجبهتين ، فنحن لا نستطيع تأجيل تقديم الاقتراح إلى مجلس الأمن بوقف إطلاق النار وقتاً طويلاً » .

وامتداداً للاتصالات التى كانت تتم بين أمريكا ومصر وبعض الدول العربية الأخرى أثناء الحرب ، علم كسنجر[2] « أن السادات يحث الملك حسين ، على أن يزج بنفسه فى المعركة . كما تبلغ له أن الملك حسين يدرس إمكانية إرسال فرقة مدرعة (صحتها لواء مدرع) إلى سوريا ، متحاشيا بذلك اتخاذ قرار أخطر ، مثل فتح جبهة جديده يهاجم منها على طول شواطىء نهر الأردن ... ناشدت فى الحال الملك حسين تأجيل اتخاذ قراره ثمانى وأربعين ساعة على الأقل ، ونوهت له فى الوقت ذاته أنى سأبذل قصارى جهدى فى دبلوماسية سرية لوضع حد للقتال ، وأنا ما زلت بحاجة لبعض الوقت ولمعاونته . وكان حسين عاقلاً فلم يجب ، لكنه اتبع توصيتى ، وهذا برهن على حكمة رجل دولة » .

ونتيجة للاتصالات المستمرة بين أمريكا وإسرائيل ، قبلت إسرائيل إيقاف إطلاق النيران على الخطوط التى وصلت إليها القوات . وأرسلت جولدا مائير رسالة مساء يوم

---

(١) مذكرات كسنجر فى البيت الأبيض – طبعة عربية – ص ٣٤٥ .
(٢) المصدر السابق – ص ٣٤٧ .

١٢ أكتوبر إلى كسنجر تفوضه التقدم بمشروع القرار إلى مجلس الأمن ، إذ كان كسنجر يرى أنها خطوة حكيمة . وكانت هذه الرسالة تعكس الموقف العسكرى العام الذى تواجهه إسرائيل .

وفى فجر يوم ١٣ أكتوبر طلب السفير البريطانى بالقاهرة مقابلة عاجلة مع الرئيس السادات ، حيث أبلغ الرئيس أن كسنجر طلب من مستر هيث رئيس وزراء بريطانيا ، أن يتأكد أن السادات يوافق على وقف إطلاق النار ، فقد أخبره السوفيت بذلك . كما اشتمل التبليغ على أن كسنجر قد أخطر هيث أنه « إذا ما اقترح أحد فى مجلس الأمن إيقاف القتال على الخطوط الحالية ، فإن الحكومة الأمريكية لن تعترض . وأن كسنجر لديه من الأسباب ما يشير إلى أن إسرائيل ستقبل ذلك » .

وكان رد الرئيس السادات على رسالة هيث « بلغ كسنجر أن هذا لم يحدث ، وأنا لم أوافق على وقف إطلاق النار لا للسوفيت . ولا لغيرهم وقد سبق أن أخطرنه بأن يتصل بالقاهرة إذا كان الأمر يخص مصر وليس بموسكو ... ثم أنى لن أوافق على وقف إطلاق النار إلا بعد إتمام المهام التى تضمنتها الخطة .

□ □ □

وفى الجبهة العسكرية ، كان القتال مستمراً فى سيناء والجولان خلال فترة « الوقفة التعبوية » (١٠ - ١٣ أكتوبر) . وكان الاتحاد السوفيتى بدأ بتزويد سوريا ومصر بالأسلحة والمعدات ، بينما طوَّرت أمريكا خطتها لنقل أكبر كمية من السلاح الأمريكى إلى إسرائيل فى أقصر وقت .

لم تكتف إسرائيل بطائرات الجامبو المدنية السبع لشركة العال لنقل احتياجاتها من الأسلحة والمعدات ، ولذلك عملت محاولات لاستئجار طائرات نقل مدنية أمريكية لسرعة إجراء النقل ، ولكن شركات الطيران رفضت التعاون مع إسرائيل فى هذا المجال خوفاً من المقاطعة العربية .

اتجه التفكير الأمريكى إلى استخدام طائرات النقل العسكرية الأمريكية لنقل الأسلحة والمعدات إلى جزر الازور فى المحيط الأطلنطى ، ومنها تنقلها طائرات العال وأى طائرات مدنية أخرى إلى إسرائيل . وبذلك تستفيد إسرائيل من قصر المسافة وتعدد رحلات النقل .

واتضح أن هذا الأسلوب لا يحقق سرعة نقل الاحتياجات بالكميات الكبيرة المطلوب نقلها . وبناء على اقتراح « مجموعة العمل الخاص » برئاسة الدكتور كسنجر ، اتخذ الرئيس نكسون قراراً هاماً لصالح إسرائيل . وكان القرار هو إنشاء « جسر جوى أمريكى » تستخدم فيه طائرات النقل العسكرية الأمريكية لنقل احتياجات إسرائيل رأسا إليها من المستودعات فى الولايات المتحدة . وبذلك اتصل شريان الحياة لإسرائيل بعد أن استجابت أمريكا لطلبات إسرائيل .

لقد بذل كسنجر جهداً كبيراً للوصول إلى قرار إنشاء الجسر الجوى الأمريكى - كما أوضحه بنفسه فى مذكراته - بدءاً من النداء العاجل الذى وجهته جولدا مائير لأمريكا فى صباح يوم الثلاثاء ٩ أكتوبر ، حيث تلقت إسرائيل فى مساء هذا اليوم وعداً وضمانات بتعويضها عن خسائرها . وانطلاقاً من هذا الضمان ، أخذت إسرائيل تبدى عدم اهتمام بما تستهلكه من عتاد حربى . ويقول كسنجر « إذا كان قد صدر عنى أى إلحاح أكثر من زملائى حول الإسراع فى توصيل الاحتياجات لإسرائيل ، فإن ذلك لأجعل تكافؤا بين ما نعمل من حيث مساندة إسرائيل وتقريب وقت انتهاء المعارك ، مع ما يقوم به السوفيت من إقامة جسر جوى لمساندة العرب » .

لقد صدر قرار إقامة هذا الجسر الجوى الأمريكى يوم ١٣ أكتوبر ، فى الوقت الذى كانت فيه إسرائيل قد استهلكت المخزون الاستراتيجى من السلاح .

وسجل الجنرال اليعازار رئيس الأركان الإسرائيلى خطورة الموقف الإسرائيلى بقوله :

« لو لم تصل إلينا الأسلحة الأمريكية حتى يوم ١٢ أكتوبر ، فقد كان المعنى الوحيد لذلك أن الكارثة الكبرى قد وقعت ، وأن نهايتنا قد أصبحت وشيكة ، لأننا كنا قد خسرنا تماما المخزون الاستراتيجى من السلاح . وكان ذلك معناه أن باستطاعة مصر وسوريا أن يصلا إلى أبعد ما يمكن أن يتصوره أى إسرائيلى » .

وكان علينا فى مصر تطوير الهجوم فى سيناء لتخفيف الضغط على سوريا .

□ □ □

ماذا بعد رءوس كبارى الجيوش ؟

لقد كان التخطيط لحرب أكتوبر يهدف إلى هزيمة التجمع الرئيسى للقوات

الإسرائيلية فى سيناء والوصول إلى خطوط استراتيجية فى سيناء تحقق الهدف السياسى من الحرب .

وقد أفصح الرئيس الراحل السادات عن الهدف الاستراتيجى العسكرى فى كتابه (البحث عن الذات – ص ٣٨٤) عندما قال : « لقد عبرنا وحققنا المرحلة الأولى بالاستيلاء الكامل على خط بارليف ، ولم يعد أمامنا إلا المرحلة الثانية وهى الوصول إلى المضايق » .

وحان الوقت يوم ٩ أكتوبر لتقرر مصر متى يستأنف الهجوم وتطويره شرقاً فى اتجاه المضايق تنفيذاً لخطة الحرب .

كان ترك العدو الإسرائيلى بدون ضغط مستمر عليه معناه انتقال المبادأة له . ولا ينتظر أن تتخذ القوات الإسرائيلية أوضاعاً دفاعية حتى نهاية الحرب ، بل إنها ستحاول اختراق أحد القطاعات بالجبهة حتى يكون دفاعها إيجابيا نشطاً وقد تصل بعض قواتها إلى خط القناة . ولذلك يجب حرمان العدو من القيام بهذا العمل بالمحافظة على المبادأة فى أيدينا ، ولا يتحقق ذلك إلا بتطوير العمليات الهجومية شرقاً .

لقد كانت القوات الإسرائيلية فى سيناء فى وضع سيىء من الناحية المعنوية والقدرة القتالية بعد الفشل الذى لحق بها والخسائر الكبيرة التى تحملتها . أما موقفها فى الجولان فقد كان يشير إلى تطوره فى صالحها تكتيكيا . وأصبح واضحا للقيادة الإسرائيلية أن عمق رءوس الكبارى المصرية وصل إلى ١٢ – ١٥ كيلومتراً ، وأن لدينا أعداداً كبيرة من الدبابات والمدفعية والأسلحة المختلفة . كان ذلك يجبر إسرائيل على اتخاذ الأوضاع الدفاعية على مواجهة واسعة حوالى مائة كيلومتر من القنطرة شمالاً حتى السويس جنوباً .

كان من رأيى ضرورة استغلال الموقف لتطوير الهجوم شرقاً طبقاً للخطة دون أن نتوقف طويلاً حتى نحرم العدو من فرصة تدعيم مواقعه أمام قوات الجيش . وهذا يعنى أن استئناف الهجوم يتم فى الظرف الأفضل لنا والأسوأ للعدو .

ناقشت الفريق أول أحمد إسماعيل فى هذا الموضوع يوم ٩ أكتوبر خلال مقابلتين معه داخل مركز العمليات . وجدت منه الحذر الشديد من سرعة التقدم شرقاً ، فكان

يرى الانتظار لتكبيد العدو أكبر خسائر ممكنة من أوضاع قواتنا فى رءوس الكبارى قبل استئناف الهجوم . وكان الفريق أول أحمد إسماعيل يرى أيضاً أن القوات البرية القائمة بالهجوم ستتعرض بشدة للطيران الإسرائيلى فى وقت لا تتمكن فيه المقاتلات وصواريخ الدفاع الجوى من توفير الحماية الكافية لها .

وفى مناقشتى معه أوضحت أن استئناف هجومنا يترتب عليه التحام قواتنا مع قوات العدو ، الأمر الذى يجعل تأثير السلاح الجوى الإسرائيلى أقل . وللحد من تأثير السلاح الجوى المعادى ، يجب استغلال طاقة قواتنا الجوية التى أثبتت قدرتها ضد طيران العدو خلال الأيام الأربعة ٦ - ٩ أكتوبر .

فضلاً عن ذلك فإن صواريخ الدفاع الجوى - خفيفة الحركة - برغم قلتها إلا أنها مؤثرة ، وفى نفس الوقت يمكننا تحريك بعض كتائب صواريخ الدفاع الجوى - بطيئة الحركة - على وثبات للأمام .

وقلت أيضاً إن احتفاظنا بالمبادأة باستئناف الهجوم استغلالاً للنجاح الذى تحقق يعطينا فرصة تحقيق الهدف الاستراتيجى بنجاح برغم أننا نتحمل الخسائر ، ولكنها خسائر مقبولة . وفى المقابل فإن طول الانتظار يعطى فرصة أفضل للعدو ليكون فى موقف أقوى عندما نستأنف الهجوم .

لقد دارت المناقشة بين الفريق أول إسماعيل وبينى بطريقة موضوعية . وكنت أعرف عنه بحكم خدمتى السابقة معه أنه حذر جداً ، وكلما كانت المناقشة تطول بيننا أجد أنه برغم اقتناعه إلا أن عامل « الخسائر المتوقعة من الطيران المعادى » كان يسيطر على كل تفكيره ثم يعود إلى القول « لا بد من المحافظة على القوات المسلحة سليمة » . وكان القرار الذى وصل إليه برغم مناقشتى الطويلة معه ، أنه لا بد من عمل « وقفة تعبوية » ثم يلى ذلك استئناف الهجوم على ضوء تطور الموقف ، وهو قرار ثابت فى ذهنه لا يحيد عنه .

وفى نهاية المناقشة بعد مقابلتين طويلتين يوم ٩ أكتوبر مع الفريق أول أحمد إسماعيل ، وله كل الاعتزاز والاحترام منى ، قلت له : أرجو أن تتذكر أن خطة الحرب تقضى بتطوير الهجوم لاحتلال المضايق بعد نجاح الهجوم واقتحام القناة « بعد وقفة تعبوية أو بدونها » . أى أن مبدأ التطوير شرقاً إلى المضايق هو مبدأ مقرر لا خلاف عليه ، وأصبح السؤال هو فقط : « متى يستأنف الهجوم ؟ » .

توقيت تطوير الهجوم :

كان توقيت تطوير الهجوم فى جبهة سيناء من أهم عوامل نجاحه . وكان من الواضح أنه كلما طال وقت الانتظار - وقفة تعبوية - بعد يوم ٩ أكتوبر ، كان لدى العدو فرصة تدعيم موقفه العسكرى وتجعل قواته أكثر ثباتاً فى مواجهة قواتنا المهاجمة . وبمعنى آخر ، كلما كانت فترة الانتظار أقصر كان ذلك أفضل لنا .

لقد كانت الموازنة الدقيقة لتحديد هذا الوقت من أصعب الأمور لكثرة وأهمية العوامل التى تتحكم فى اتخاذ القرار .

ومن متابعة الموقف فى جبهة الجولان ، ظهرت بوادر نجاح تكتيكى إسرائيلى ، ولم يكن مشجعاً أن تحمل بلاغات القيادة السورية فى طياتها سيطرة الجيش السورى على الموقف . وتطور الموقف ليصبح فى صالح إسرائيل منذ يوم ١٠ ، واستخدمت أيضاً سلاحها الجوى لقصف الأهداف الاقتصادية فى سوريا يوم ٩ ثم قصف جوى للعاصمة دمشق يوم ١٠ والأهداف المدنية والعسكرية يوم ١١ . وهنا حضر للقاهرة مندوب من القيادة السورية يطلب تنشيط العمليات فى جبهة سيناء لتخفيف الضغط الإسرائيلى فى جبهة الجولان .

لقد شكل الموقف العسكرى فى الجبهة السورية عامل ضغط على الرئيس السادات سياسياً ، وعلى الفريق أول أحمد إسماعيل عسكرياً بصفته القائد العام لقوات الجبهتين المصرية والسورية . ولذلك صدر قرار الرئيس السادات فى الساعات الأولى من يوم ١٢ أكتوبر للفريق أول إسماعيل بتطوير الهجوم شرقاً على الجبهة المصرية لتخفيف الضغط على الجبهة السورية .

وفى صباح يوم ١٢ أصدر الفريق أول إسماعيل أوامره ببدء التطوير فى الساعة ٠٦,٣٠ (السادسة والنصف صباحاً) صباح اليوم التالى ١٣ أكتوبر مع التمسك برءوس الكبارى .

وبناء على طلب اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى واللواء عبد المنعم واصل قائد الجيش الثالث ، وبعد استدعائهما إلى مركز عمليات القوات المسلحة ومقابلة القائد العام مساء يوم ١٢ ، تأجل تطوير الهجوم ليكون ٠٦,٣٠ يوم ١٤ أكتوبر .

رأى الفريق الشاذلى :

يقول الفريق سعد الدين الشاذلى رئيس الأركان إنه كان يعارض فكرة تطوير الهجوم لأسباب أبداها بنفسه للقائد العام الفريق أول أحمد إسماعيل .

وأوضح الشاذلى فى مذكراته[1] تحت عنوان (القرار السياسى الخاطىء) أنه بعد عودته من الجبهة يوم ١١ أكتوبر ، فاتحه الوزير أحمد إسماعيل فى موضوع تطوير هجومنا نحو المضايق ، ولكن الشاذلى عارض الفكرة لأن « القوات الجوية الإسرائيلية قوية وتشكل تهديداً خطيراً لأية قوات برية تتحرك فى العراء دون غطاء جوى » .

وعاد الوزير أحمد إسماعيل وفاتحه بالموضوع مرة أخرى فى صباح اليوم التالى – ١٢ أكتوبر – قائلاً له إن الهدف من هجومنا هو تخفيف الضغط على الجبهة السورية . عارض الشاذلى الفكرة مرة أخرى على أساس أن هجومنا لن ينجح ولن يخفف الضغط على الجبهة السورية للمبررات التى أبداها . وحوالى الظهر تطرق الوزير لهذا الموضوع للمرة الثالثة خلال ٢٤ ساعة ، وقال هذه المرة « القرار السياسى يحتم علينا ضرورة تطوير الهجوم نحو المضايق ، ويجب أن يبدأ ذلك صباح غد ١٣ أكتوبر » .

وكان هناك إصرار من الوزير على أن القرار سياسى ويجب أن نلتزم به . وكل ما أمكن عمله هو تأجيل الهجوم إلى فجر يوم ١٤ بدلاً من فجر يوم ١٣ كما كان محدداً .

الانتظار الطويل . لماذا ؟

ويطرح السؤال نفسه : لماذا لم تنتهز القيادة العسكرية المصرية فرصة نجاحها حتى يوم ٩ أكتوبر – بعد أن حققت المهمة المباشرة بنجاح – لاستغلال هذا النجاح بتطوير الهجوم بسرعة فى اتجاه المضايق لتحقيق الهدف الاستراتيجى العسكرى ؟! .

اختلف الكتاب والمحللون فى الرد على هذا السؤال :

منهم من استنتج أن التخطيط المصرى لحرب أكتوبر كان يهدف إلى القيام بعملية

---

(١) الفريق سعد الدين الشاذلى – حرب أكتوبر (مذكرات) – طبعة عربية .

هجومية ذات هدف محدود هو : الهجوم مع اقتحام القناة والإستيلاء على خط بارليف فقط .

ومنهم من استنتج أن التخطيط المصرى كان يهدف إلى القيام بعملية هجومية لإقتحام القناة وتدمير خط بارليف والاستيلاء على خط المضايق كهدف نهائى . وهنا تنوعت آراء الكتاب ، فقد نسب بعضهم للفريق الشاذلى أنه كان صاحب فكرة استغلال النجاح بسرعة التطوير . بينما نسب بعضهم للفريق أول أحمد إسماعيل أنه كان صاحب فكرة الانتظار الطويل – عمل وقفة تعبوية – قبل تطوير الهجوم إلى خط المضايق .

والحقيقة التى أقررها ، أن التخطيط لحرب أكتوبر ١٩٧٣ لم يكن قاصراً أبداً على الاستيلاء على خط بارليف كهدف نهائى . بل كان التخطيط يهدف إلى تحقيق هدف استراتيجى عسكرى أبعد من ذلك وهو الوصول إلى خط المضايق والاستيلاء عليه كهدف نهائى .

وكان التخطيط يشمل – بكل تأكيد – اقتحام قناة السويس وتدمير خط بارليف ، وصد هجمات العدو المضادة المنتظرة ، وتطوير الهجوم لتحقيق الهدف النهائى (خط المضايق) سواء بعد وقفة تعبوية أو بدون هذه الوقفة حسب الموقف . أى أن تطوير الهجوم شرقاً فى اتجاه المضايق كان مقرراً فى جميع الحالات .

أما ما نسب للفريق الشاذلى من أنه صاحب فكرة استغلال النجاح بسرعة التطوير ، فقد تولى بنفسه نفيها ويؤكد ذلك على لسانه – فى مذكراته – بقوله[1] :

« لقد كثر الكلام وتعددت الآراء حول الأسباب التى منعت المصريين من تطوير هجومهم إلى الشرق فور نجاحهم فى عملية العبور . وقد انتشرت شائعات كثيرة تقول إننى كنت من أنصار الاندفاع السريع نحو الشرق سواء يوم ١٤ أو قبل ذلك بكثير . وقد امتنعت القوات المسلحة عن التعليق على هذه النقطة بالتأييد أو النفى سواء على المستوى الاعلامى أو المستوى العلمى[2] . وهكذا بدأت وسائل الاعلام العالمية تؤكد تلك الشائعات . لقد وصفونى بأننى رجل مظلى قوى ، هجومى ،

---

(١) فريق سعد الدين الشاذلى – حرب أكتوبر (مذكرات) – طبعة عربية – ص ٢٤٨ .

(٢) يقصد الندوة الدولية عن حرب أكتوبر التى عقدت فى جامعة القاهرة من ٢٧ – ٣١ أكتوبر ١٩٧٥ ولم يشترك فيها .

مقدام .... إلخ .. ولكننى لا أود أن نربط بين هذه الصفات الجميلة وبين قرار تطوير الحرب نحو الشرق . لقد كنت دائما ضد فكرة تطوير الهجوم نحو الشرق سواء كان ذلك فى مرحلة التخطيط أو فى مرحلة إدارة العمليات الحربية للأسباب الكثيرة التى سبق لى أن ذكرتها » .

وإنى أهمس فى أذن الشاذلى بكل الود والاحترام ، وأقول له إن خطة حرب أكتوبر ١٩٧٣ قد وضعت بعد أن استغرق العمل فيها وقتاً طويلاً بواسطة هيئة عمليات القوات المسلحة واشتراك الأفرع الرئيسية لهذه القوات - جوية وبحرية ودفاع جوى - والأجهزة والقيادات المختلفة ، ووافق عليها الفريق الشاذلى رئيس الأركان وصدق عليها الفريق أول أحمد إسماعيل القائد العام - بتوقيع كل منهما مع توقيعى على وثائقها - قبل الحرب بوقت طويل . وطالما أن الخطة وضعت لتحقيق هدف استراتيجى عسكرى هو الوصول إلى المضايق ، فليس من المستساغ أن يقول رئيس الأركان أنه كان ضد تطوير الهجوم إلى المضايق فى مرحلة التخطيط .

أما أثناء إدارة العمليات الحربية ، فقد تتغير المواقف عما هو مخطط لها ، أو قد تظهر عوامل جديدة أثناء التنفيذ تستدعى مواجهتها بأساليب تناسب الموقف . وهنا تظهر كفاءة القائد وقيادته فى إدارة العمليات - بمتغيراتها - لتحقيق الهدف الاستراتيجى .

وبماذا فسر القائد العام - الفريق أول أحمد إسماعيل - هذا الانتظار الطويل - عمل وقفة تعبوية - ثم تطوير الهجوم فى اتجاه المضايق ؟ .

رأى الفريق أول أحمد إسماعيل :

بعد أن أصبح الفريق أول أحمد إسماعيل فى رحاب الله ، لم أجد أفضل من الحديث الصحفى[1] الذى أدلى به للأستاذ محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام يوم ١٩٧٣/١١/١٨ - بعد انتهاء الحرب - للرد على التساؤلات التى دارت حول عدم استغلال النجاح بالسرعة التى كانت متوقعة ، وهو الأمر الذى أحس به الجميع داخل مصر وخارجها عندما لم تتعمق قواتنا شرقا بعد الخطوط التى وصلت إليها قواتنا

---

(١) الحديث مسجل فى كتاب : الرجال والمعركة الذى صدر بموافقة الفريق أول أحمد إسماعيل ، ويشمل كل أحاديثه الصحفية بعد الحرب عن حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

فى رءوس كبارى الجيوش فى سيناء ، خصوصاً وان البيانات العسكرية التى كانت تصدر عن مصر – وهى صحيحة – كانت تعطى هذا الانطباع برغم أن القتال لم يهدأ :

هيكل :

أريد أن أسألك ، وقد تأذن لى أن أكون صريحاً ، عن السبب الذى من أجله لم يجر تطوير هجومنا الشامل بالسرعة الواجبة ... إن البعض من الخبرآء يرون أن النجاح الهائل لعملية العبور لم يجر استغلاله بسرعة . وهناك تساؤلات كثيرة فى هذا الصدد : هل كان تخطيطنا المسبق لافتتاحية العبور العظيمة وحدها ؟ هل لم نستطع أن نرى الفرصة المتاحة لنا ؟ هل كنا أبطأ مما يجب أو ماذا حدث بالضبط ؟

أحمد إسماعيل :

إن هذه الأسئلة كلها يجب أن تطرح ، وليس هناك ضرر فى رأيى من طرحها . وسوف آخذ النقط التى أثرتها فى سؤالك واحدة بعد واحدة .

١ – هل خططنا للعبور وحده ؟

بالطبع لا . لقد كان لدينا خطط أوسع بكثير ، لأن الحرب حوار بين تخطيط وتخطيط .. بين قوة نيران وقوة نيران ... مقدرة حركة ومقدرة حركة .

وليس معقولاً أن تكون لدينا خطوة واحدة نتعطل بعدها ، فلا نعرف كيف نواصل الحوار بالتخطيط وبالنيران وبالحركة . بالطبع فإن عملية العبور أخذت جزءاً كبيراً من اهتمامنا لأنها كانت المدخل ، ولأنها كانت خطوة درسنا كل تفاصيلها لأننا عرفنا أننا سنبدأ بها ، وهى ميزة الأخذ بزمام المبادأة .

ما يجيء بعد ذلك ... إحتمالات متعددة مدروسة ، وقد حسبناها إلى أقصى حد ، ولكن الأمر فى النهاية كان يتوقف على ما سوف يقوم به العدو . وبالتالى فإن خطة العبور كانت كاملة إلى النهاية ، وكان ما بعدها قد شمله التخطيط ، ولكن اختيار الاحتمالات كان متوقفاً على رد فعل العدو .

٢ - هل لم نستطع رؤية الفرصة ؟

إن الموضوع بالنسبة لى لم يكن مسألة فرص ، وإنما كان مسألة حسابات . ومهما وجدت من فرص تبدو متاحة أمامنا فقد كان علىَّ ألا أغامر .

إننا بدأنا العملية فى حماية شبكة الصواريخ الشهيرة . وبذا كان علىَّ أن أتقدم بعدها ، فقد كان لا بد - سواء كانت هناك فرص يراها غيرى أو حتى أراها بنفسى - أن أنتظر حتى أتأكد أن قواتى وراءها الحماية الكافية .

كان لا بد أن أعطى الفرصة لمدرعاتى بالدخول . وكان لا بد أن أعطى الفرصة لصواريخى المتحركة المضادة للطائرات بالدخول . إن قواتنا الجوية قامت بعمل بطولى ، ولكن لو أنى دفعت بقواتى وراء الفرصة المتاحة التى يتحدثون عنها ، ولم تكن دفاعاتى ضد تفوق العدو الجوى جاهزة ، لكان معنى ذلك أن ألقى العبء كله على الطيران وأحمله ما لا يطيق فى وقت أعرف فيه أن الساعات الصعبة ما زالت أمامنا .

٣ - هل كنا أبطأ مما يجب ؟

لا أعرف ... ما أعرفه هو أننى التزمت بالتخطيط . كان التخطيط - الخطة الأصلية أقصد - يقتضى وقفة تعبوية بعد إتمام العبور وبعد تأمين رءوس الكبارى .. وقفة أعيد فيها تقدير الموقف على ضوء رد فعل العدو ، وأتأهب للخطوة التالية واتخذ لها احتياطاتها الكافية وأتقدم .

إن الوقفة التعبوية لم تكن فترة سكون ، ولكنها كانت فترة تقبُّل لهجمات مضادة من العدو وتدميرها ...

ومع ذلك - ولست أظننى بذلك أذيع سراً لا يعرفه العدو - فإننا اضطررنا إلى القيام بهجوم واسع بأسرع من الوقت المناسب . وكان هدفنا من ذلك تخفيف الضغط على سوريا . ولقد حدثت معارك[1] ضخمة بالمدرعات ، وكانت هذه المعارك خارج نطاق الصواريخ . وحينما أحسست أننا اضطررنا العدو إلى سحب جانب من قواته العاملة على الجبهة السورية إلى جانب تحويله لجهود طيرانه من هناك إلى جانب إسراعه بالاحتياطى إلى ناحيتنا ، فإنى فضلت العودة إلى رءوس الكبارى نواصل تدعيمها ونجعل منها صخرة تتحطم عليها الهجمات المضادة للعدو .

---

(١) يقصد معارك الدبابات التى حدثت يوم ١٤ أكتوبر أثناء تطوير الهجوم شرقاً إلى المضايق .

هيــكل :

سوف أسألك مرة أخرى ولعلك تقبل إلحاحى : هل كنا تقليديين أكثر مما يجب ؟

أحمد إسماعيل :

هل كان تخطيط وتنفيذ عملية العبور التى رأيت وسمعت بنفسك تقدير خبراء العالم لها ... هل كان ذلك عملاً تقليدياً ... إن الذين سمعونى أتحدث إلى القوات عرفوا أن أكثر ما كنت أحذر منه هو أن نكون تقليديين ، وفى نفس الوقت لم أكن أريد أن نكون مغامرين .. الحرب قضية أكبر بكثير من المغامرة .

□ □ □

وإنى أقول :

- إن خطة الحرب التى لا خلاف عليها – عسكريا وسياسياً – قد وضعت للوصول إلى خط المضايق كهدف نهائى للحرب .
- ولم تحتم هذه الخطة عمل « وقفة تعبوية » بعد اقتحام القناة وإنشاء رءوس كبارى الجيوش ، بل نصت على تطوير الهجوم شرقاً للاستيلاء على المضايق – بعد وقفة تعبوية أو بدونها – حسب الموقف .

  وكان توقيت تطوير الهجوم من أهم عوامل نجاحه لسرعة استغلال النجاح الذى تحقق . وكلما كانت فترة الانتظار – بعد اتمام المهمة المباشرة يوم ٩ أكتوبر – أقصر كان ذلك أفضل لنا .
- لقد كان القائد العام الفريق أول أحمد إسماعيل حذراً أكثر مما يجب ، وأبطأ مما يجب ، الأمر الذى دعاه إلى الانتظار الطويل – عمل وقفة تعبوية – من يوم ١٠ حتى يوم ١٣ أكتوبر . وكان يرى كما قال « كان علىّ ألا أغامر » .

  وكان عليه أن يغامر بعد أن ضاعت منا فرصة استغلال النجاح بسرعة لتحقيق الهدف الاستراتيجى .
- ويقع عبء إدارة العمليات الحربية لتنفيذ الخطة على القيادة العسكرية دون تدخل من القيادة السياسية ، وهو الأسلوب الصحيح لإدارة العمليات .

وقد حاولت خلال الحرب معرفة مبررات البطء فى تطوير الهجوم شرقاً ، وهل كان هناك قيد سياسى على القائد العام يتطلب ذلك ، إلا أن الفريق أول أحمد إسماعيل لم يفصح لى عن هذا القيد لو كان موجوداً .

ولما أصدر الرئيس السادات قرارا بذلك للقائد العام فى الساعات الاولى من يوم ١٢ أكتوبر لتطوير الهجوم بعد تدهور الموقف العسكرى فى الجبهة السورية ، أسرع الفريق أول أحمد إسماعيل بإصدار الأوامر فى نفس اليوم للتطوير بحيث يبدأ صباح اليوم التالى ١٣ أكتوبر (تأجل لاعتبارات عسكرية ليكون صباح يوم ١٤) . اتضح من هذا التصرف أن الوقفة التعبوية - ١٠ - ١٣ أكتوبر - كانت بإتفاق وموافقة الرئيس السادات والقائد العام أحمد إسماعيل ، كما أن قرار تطوير الهجوم - بعد الوقفة التعبوية - كان قراراً سياسياً .

- وحول هذا الموضوع قال محمود رياض أمين عام الجامعة العربية حينئذ ، إن الرئيس حافظ الأسد وجه له دعوة يوم ١٢ نوفمبر ١٩٧٣ - بعد الحرب بحوالى أسبوعين - للسفر إلى دمشق للتباحث معه بشأن الموقف فى ذلك الوقت . وفى حديث استمر بينهما من منتصف الليل حتى ما بعد الثانية صباحاً شرح فيه الرئيس الأسد الموقف فى الجولان خلال فترة العمليات ، وجاء فيه :

« إن الاتفاق بينى وبين الرئيس السادات كان يقتضى قيام مصر باحتلال المضايق ، إلا أن القوات المصرية توقفت بعد عشرة كيلومترات من شرق القناة ، وأضاف : ربما تكون القيادة المصرية قد حاولت تدارك هذا الخطأ يوم ١٤ أكتوبر عندما دفعت باحتياطيها إلى سيناء ، ولكن الفرصة كانت قد فاتت بعد مرور ثمانية أيام كاملة على النجاح المصرى فى العبور ، وبعد أن زال عامل المفاجأة لدى إسرائيل . وذكر الرئيس الأسد ، أنه لم يكن هناك تنسيق كاف بيننا وبين القيادة المصرية . بالرغم من أن الفريق أول أحمد إسماعيل هو القائد العام للجبهتين » .

- لقد كانت فترة « الوقفة التعبوية » فرصة أتيحت لإسرائيل استغلتها لتكون أكثر ثباتا فى الجبهة المصرية ، وتكون أكثر تأثيراً فى الجبهة السورية .

كما أتاحت هذه الفترة لأمريكا استمرار إمداد إسرائيل بالأسلحة والمعدات بصفة عاجلة لتعويض خسائرها وزيادة قدراتها القتالية حتى يوم ١٢ أكتوبر .

وقامت أمريكا بعمل استطلاع جوى لجبهة سيناء وعمق الدولة يوم ١٣ (سيلى شرحه فيما بعد) اكتشفت فيه أن الفرقة ٢١ مدرعة قد انتقلت من غرب القناة إلى شرقها استعداداً للتطوير فى اليوم التالى .

والنتيجة المباشرة للوقفة التعبوية ، أن إسرائيل ركزت مجهودها ضد القوات السورية فى جبهة الجولان وحققت نجاحا هناك . وفى نفس الوقت كانت أمريكا تلعب دوراً سياسيا بمهارة لصالحها وصالح إسرائيل ، فقد وضعت أمريكا ثقلها بالدعم العسكرى المباشر لإسرائيل بحيث تضمن عدم استكمال هزيمتها فى الوقت الذى كانت تقوم فيه باتصالات سياسية مع الاتحاد السوفيتى ومصر لكسب الوقت :

وعلى ذلك ، فقد كان للوقفة التعبوية تأثير هام ومباشر على تطور العمليات فى المرحلة التالية فى غير صالحنا .

● وفى مجال العمل السياسى وتأثيره على تطوير العمليات الحربية ، فلم أكن أعلم أثناء الحرب بحكم عملى العسكرى – رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة – بالعمل السياسى الذى يتم بواسطة القيادة السياسية دعماً للعمل العسكرى أو استغلالاً لنتائجه . وبعد أن نشر بعض القادة السياسيين مذكراتهم بعد الحرب ، لفت نظرى موضوعان يستحقان الاهتمام حول « الوقفة التعبوية » والبطء فى تطوير هجوم قواتنا فى اتجاه المضايق .

أولاً : ففى الرسالة التى بعث بها السيد حافظ إسماعيل مستشار الأمن القومى يوم ٧ أكتوبر – تعبيراً عن رأى الرئيس السادات – إلى الدكتور كسنجر ، جاء فيها « لا تعتزم مصر تعميق الاشتباكات أو توسيع المواجهة » . وقد فسر كسنجر هذه الجملة على أنها « لا تخلو من التنويه بأن مصر غير راغبة فى متابعة العمليات العسكرية ضد إسرائيل بعد الأراضى التى كسبتها » .

والسؤال الذى يطرح نفسه . هل هناك علاقة بين فكرة الرئيس السادات بعدم تعميق الاشتباكات وقراره بالبطء فى تطوير الهجوم فى اتجاه المضايق ، وعمل وقفة تعبوية ؟

إن الإدارة السياسية للحرب ، لا بد أن تنطلق من العمل العسكرى الذى يتحقق فى ميدان القتال . ففى الموقف العسكرى يوم ٧ أكتوبر ، كانت قواتنا فى جبهة القناة قد حققت إنجازاً عظيماً ، وفى الوقت نفسه تتقدم القوات السورية بنجاح فى الجولان .

وكان العدو لم يفق من المفاجأة ولم تكن قواته الاحتياطية قد تم تعبئتها . وفى هذا اليوم أيضاً ، اقترح ديان فى مجلس الوزراء الإسرائيلى الانسحاب من خط القناة .

فى هذا الموقف لم يكن العمل السياسى متمشيا مع العمل العسكرى الناجح الذى تحقق . والأخطر من ذلك أن القيادة السياسية فى مصر قد أفصحت عن نواياها فى العمل العسكرى ، الأمر الذى جعل كسنجر - وبالتالى إسرائيل - يفسره بأن مصر غير راغبة فى متابعة العمليات العسكرية ضد إسرائيل بعد الأراضى التى حررتها .

ثانياً : والموضوع الثانى الذى صدمنى وأفزعنى ، ما جاء فى مذكرات السيد حافظ إسماعيل (أمن مصر القومى فى عصر التحديات ص ٣٢٣) تحت عنوان - ١٠ - ١٣ أكتوبر ، وقفة تعبوية - النص الآتى :

« كانت قواتنا خلال المرحلة التى انتهت قد أتمت تحقيق الهدف المباشر . وكنت من خلال أحاديثى مع الفريق أول أحمد إسماعيل من قبل نشوب الحرب ، أدرك أنه لا ينوى التقدم حتى الممرات الجبلية . وأن ما جاء بتعليمات عمليات القيادة العامة بأن الهدف هو احتلال المضايق ... إنما قصد به أن يستحث القيادات الصغرى خلال مرحلة بناء رءوس الكبارى على استمرار التقدم حتى الهدف المباشر » .

كنت أتمنى أن يكون الفريق أول أحمد إسماعيل على قيد الحياة ، حتى يمكنه تفسير ما نسب إليه « أنه لم يكن ينوى التقدم حتى الممرات الجبلية » . لم أقتنع بالمبرر الذى نسب إليه « يستحث القيادات الصغرى على استمرار التقدم حتى الهدف المباشر » .

إن هناك اصطلاحات عسكرية لا خلاف عليها . على المستوى التكتيكى يكون للوحدة فى الهجوم (مهمة مباشرة - ومهمة تالية - واتجاه التقدم التالى . وعلى المستوى التعبوى / الاستراتيجى يكون للجيش الميدانى (مهمة مباشرة - ومهمة تالية) أو مهمة مباشرة - مهمة نهائية) .

وأعتقد أننا دخلنا حرب أكتوبر بمفهوم واحد للقيادة العامة للقوات المسلحة . ولا أتصور أن الفريق أول أحمد إسماعيل كان يعنى أن تدمر قواتنا خط بارليف مع اقتحام القناة ، وتقف القوات عند هذا الخط . لقد كنا حققنا هذا الهدف بنهاية يوم ٩ أكتوبر ، فلماذا لم يقبل الرئيس السادات مقترحات وقف إطلاق النار فى ذلك الوقت أو أى يوم آخر حتى يوم ١٢ أكتوبر .

لقد كان واضحاً تماماً للرئيس السادات أن الهدف النهائى من خطة الحرب هو الوصول إلى المضايق ، وقد سجلها بنفسه فى مذكراته « البحث عن الذات » ...

وهل من المعقول أن يكون فكر القائد للقوات المسلحة مختلفا عن فكر رئيس الدولة ؟

الجسر الجوى الأمريكى لإسرائيل :

وبينما كان القتال مستمراً فى سيناء والجولان خلال الفترة من ١٠ — ١٣ أكتوبر ، كانت المحاولات السياسية تبذل لوقف إطلاق النار .

لقد اتضح لأمريكا منذ يوم ٩ أكتوبر أن الموقف الإسرائيلى أصبح حرجاً نتيجة للخسائر الشديدة التى تكبدتها فى الأسلحة والمعدات ، الأمر الذى أوضحه السفير الإسرائيلى دينتز للدكتور كسنجر فى المقابلة التى تمت بينهما صباح ذلك اليوم — ٩ أكتوبر — فى البيت الأبيض . هذه المقابلة التى طلبت فيها إسرائيل سرعة إمدادها بالأسلحة والمعدات الثقيلة على وجه السرعة وبإلحاح شديد ، الأمر الذى استدعى أن تقترح السيدة مائير رئيسة الوزراء السفر إلى واشنطن لطلب الاسلحة اللازمة ، إلا أن كسنجر لم يوافق على هذا الاقتراح وتولى الأمر بنفسه بحكم عمله وزيراً للخارجية ومستشاراً للأمن القومى ، وفى الوقت نفسه القائم برئاسة « مجموعة العمل الخاص » التى تدير الأزمة .

وفى مساء يوم ٩ أكتوبر نقل كسنجر إلى السفير الإسرائيلى قرار الرئيس الأمريكى « أنه قرر ارسال جميع قطع الغيار والمعدات المدرجة فى القائمة ، ويعنى ذلك تجهيزات ومعدات إلكترونية ما عدا قنابل الليزر . ووافق على تعويض كل ما تفقده إسرائيل من طائرات ودبابات ... وسيرسل عدد من الدبابات طراز م.— ٦٠ ، وهى أحدث ما لدى أمريكا . وسيصل إلى إسرائيل طائرات حديثه أيضاً ... أما باقى الأصناف ، فيجب وضع توقيت ينظم الإرسال والوصول . وتؤكد أمريكا أن جميع خسائر إسرائيل ستعوض ، وإذا احتاجت إلى الدبابات فانها ستصل إسرائيل ولو على طائرات أمريكية » .

وحدث تطور جديد فى الموقف السياسى ، عندما رفض الرئيس السادات فجر يوم ١٣ أكتوبر وقف إطلاق النار فى المقابلة التى تمت بين الرئيس السادات والسفير البريطانى بالقاهرة بناء على اقتراح من كسنجر

فى هذا اليوم – ١٣ أكتوبر – صدر قرار الرئيس الأمريكى نكسون لبدء تنفيذ الجسر الجوى الأمريكى لنقل كل احتياجات إسرائيل العسكرية ، فى الوقت الذى كانت استهلكت فيه إسرائيل المخزون الاستراتيجى من السلاح .

ويسجل كسنجر رأيه فى الموقف بقوله فى مذكراته : « لم يكن يخالجنى الشك أبداً أن هزيمة إسرائيل بفضل التسليح السوفيتى ، ستكون كارثة جغرافية سياسية بالنسبة للولايات المتحدة . ولذلك حرَّضت إسرائيل للحصول على انتصار فى إحدى الجبهتين ، قبل أن يتخذ دبلوماسيو الأمم المتحدة مكاسب العرب حقاً يثبتونه فى اجتماعاتهم القادمة » .

□ □ □

لم تكتف إسرائيل بطائرات الجامبو السبع لشركة العال لنقل احتياجاتها من الأسلحة والمعدات ، ولذلك عملت محاولات لاستئجار طائرات نقل مدنية أمريكية لسرعة اجراء النقل ، ولكن شركات الطيران رفضت التعاون فى هذا المجال خوفاً من المقاطعة العربية .

اتجه التفكير الأمريكى إلى استخدام طائرات النقل العسكرية الأمريكية لنقل الأسلحة والمعدات إلى جزر الأزور فى المحيط الاطلنطى ، ومنها تنقلها طائرات شركة العال وأى طائرات مدنية أخرى إلى إسرائيل ، وبذلك تستفيد إسرائيل من قصر المسافة وتعدد الرحلات . واتضح أن هذه الطريقة لا تحقق سرعة نقل الاحتياجات بالكميات الكبيرة المطلوب نقلها .

وبناء على اقتراح « مجموعة العمل الخاص » برئاسة الدكتور كسنجر ، اتخذ الرئيس نكسون قراراً هاماً وحيوياً لصالح إسرائيل فى هذه الحرب . وكان القرار هو إنشاء « جسر جوى أمريكى » تستخدم فيه طائرات النقل العسكرية الأمريكية لنقل احتياجات إسرائيل رأسا من المستودعات الأمريكية إلى إسرائيل . وبذلك اتصل شريان الحياة لإسرائيل بعد أن استجابت أمريكا لطلبات إسرائيل .

لقد بذل الدكتور كسنجر جهداً كبيراً للحصول على قرار إنشاء الجسر الجوى الأمريكى – كما أوضحه بنفسه فى مذكراته – بدءًا من النداء العاجل الذى وجهته جولدا مائير لأمريكا صباح يوم ٩ أكتوبر ، حيث تلقت وعداً وضماناً بتعويضها عن

خسائرها ، إلى أن تم تنفيذ الجسرالجوى بطائرات نقل السلاح الجوى الأمريكى . ويقول كسنجر « إذا كان قد صدر عنى أى الحاح أكثر من زملائى حول الاسراع فى توصيل الاحتياجات لإسرائيل ، فإن ذلك لكى أجعل هناك تكافؤا بين ما نعمل من حيث مساندة إسرائيل وتقريب وقت انتهاء المعارك ، مع ما يقوم به السوفيت من اقامة جسر جوى لمساندة العرب » .

□ □ □

- استخدمت أمريكا لتنفيذ الجسر الجوى[1] ٢٢٨ طائرة نقل منها ٥١ طائرة من طراز س ٥ وعدد ١٧ طائرة من طراز س ١٤١ .
- ونفذت هذه الطائرات ٥٦٩ طلعة وصلت إلى إسرائيل تحمل الكميات الآتية :

١٤٧ طلعة بواسطة طائرات س ٥ نقلت ١١ ألف طن من الاحتياجات .
٤٢٢ طلعة بواسطة طائرات س ١٤١ نقلت ١١,٥ ألف طن من الاحتياجات .

- وحدد وزير الدفاع الأمريكى عدد الطائرات التى يسمح بهبوطها فى إسرائيل فى اليوم الواحد بعدد ٢٣ طائرة كحد أقصى لاعتبارات سياسية ، منها ٦ طائرات س ٥ ، ١٧ طائرة س ١٤١ .
- واستمر الجسر الجوى الأمريكى مدة ٣٣ يوماً اعتباراً من ١٣ أكتوبر حتى ١٤ نوفمبر ١٩٧٣ ، استخدم فيها حوالى ٢٤٪ من حجم طائرات النقل التابعة لقيادة النقل الجوى فى اليوم الواحد طول مدة عمل الجسر .
- وقد تمكن الجسر الجوى من نقل ٢٢,٤٩٧ ألف طن من الاسلحة والمعدات والذخيرة إلى إسرائيل ، نقل منها حوالى ٣٩٪ خلال الفترة من ١٣ — ٢٤ أكتوبر ١٩٧٣ . وذلك بالاضافة إلى ٨ طائرات مدنية إسرائيلية من طراز (٧٤٧ ، ٧٠٧) قامت بنقل ٥٥٠٠ طن معدات خلال الفترة نفسها .

واستكمالاً لامداد إسرائيل بالاسلحة والمعدات ، انشأت أمريكا جسراً بحريا خصص أساساً لنقل المعدات كبيرة الحجم ، حيث وصلت أول سفينة إلى إسرائيل

---

(١) الاحصائيات والبيانات مأخوذة من تقرير مراقب عام الدولة الأمريكى بخصوص الجسر الجوى لإسرائيل عام ١٩٧٣ .

يوم ٢ نوفمبر ١٩٧٣ بحمولة ٣٣,٢١٠ أطنان من الدبابات والمدافع والعربات . وبلغ اجمالى ما تم نقله بالجسر البحرى، ٧٤٪ من اجمالى حجم خطة الامداد والمعونة العسكرية العاجلة . وكان الغرض من ذلك هو تعويض خسائر الحرب وسرعة رفع الكفاءة القتالية للقوات الإسرائيلية بعد توقف القتال .

اعتمد الجسر الجوى ، ثم الجسر البحرى ، على المخازن والمستودعات الموجودة فى الولايات المتحدة . ومما يجدر ذكره أن بعض الدول الأوربية رفضت تقديم المساعدات اللازمة لطائرات النقل الأمريكية أثناء رحلاتها (هبوط - إعادة تموين - حق المرور .. الخ) وهى إنجلترا واسبانيا وايطاليا واليونان وتركيا ، الأمر الذى فرض على طائرات النقل الأمريكية اتخاذ خط سير متعرج للوصول إلى إسرائيل (راجع الخريطة عن خط السير لطائرات النقل تفاديا للمرور فى المجالات الجوية للدول) .

- وتكلفت عملية الجسر الجوى الأمريكى، إلى إسرائيل - بخلاف ثمن المعدات - ٨٨,٥ مليون دولار .

□ □ □

لقد تنوعت وتعددت الأسلحة والمعدات والذخيرة التى وصلت إلى إسرائيل بواسطة الجسر الجوى . وكان أبرز الأنواع التى نقلت هى محركات الطائرات فانتوم وأجنحتها ، ومستودعات قنابل جو / أرض ، ومجموعات أجزاء طائرات سكاى هوك ، ومعدات نظام دفاع جوى من طراز فولكان وشابرال ، وصواريخ جو / أرض ، وعبوات إعاقة ، ومعدات فنية لصيانة محركات الطائرات . الخ .

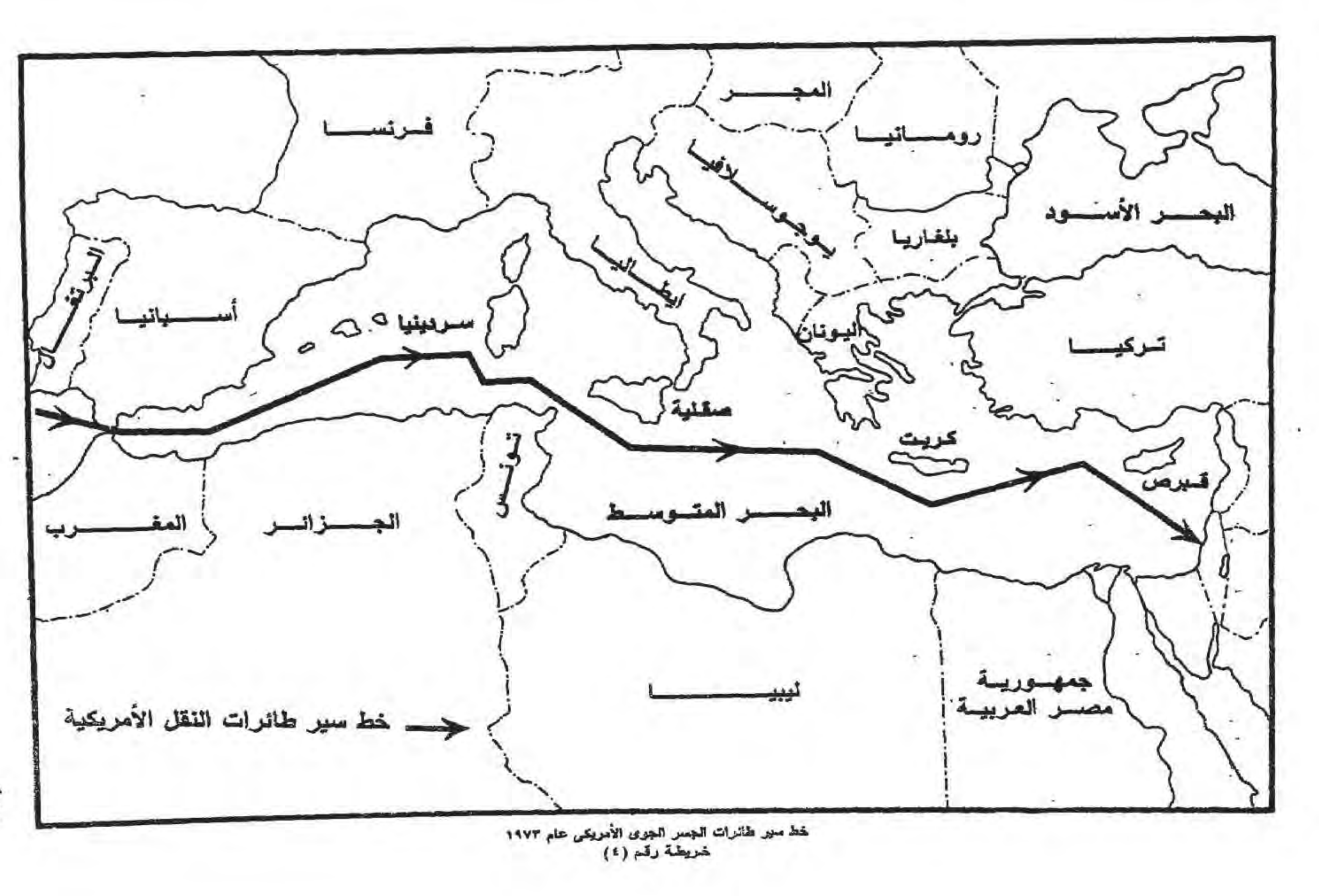
أما عن أسلحة القوات البرية فقد اشتملت على الدبابات ، والصواريخ المضادة للدبابات من طراز تاو ، وأنواع مختلفة من المدفعية ، ومواسير مدافع ، وذخيرة دبابات ومدفعية ، وأجهزة اشارية .. الخ . ومن الملاحظ أن الجسر الجوى الأمريكى بدأ يوم ١٣ أكتوبر ، وهو اليوم السابق لتطوير الهجوم المصرى فى اتجاه المضايق يوم ١٤ أكتوبر ، وتمكنت إسرائيل من صد هذا الهجوم .

ومما يلفت النظر أيضاً أن ابرز الأيام التى تميزت بضخامة حجم المجهود الجوى المخصص للنقل إلى إسرائيل ، كانت هى أيام ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢١ أكتوبر ، وهى

الفترة التى حدثت فيها ثغرة الدفرزوار وكان لإسرائيل المبادأة فيها على الجبهة المصرية حتى ايقاف النيران يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ .

وبهذا الجسر الجوى ، تمكنت أمريكا من رفع الكفاءة القتالية للقوات الإسرائيلية فى المرحلة الأخيرة من حرب أكتوبر الأمر الذى جعل ميزان القوة العسكرية يتحول إلى جانب إسرائيل . كما أبرزت أمريكا دعمها وتأييدها المطلق لإسرائيل فى هذه الحرب .

وفى تقديرى : كان الجسر الجوى الأمريكى ، وكذا الاستطلاع الجوى الأمريكى لجبهة القناة يومى ١٣ ، ١٥ أكتوبر – سيرد ذكرهما فيما بعد – سبباً رئيسياً لاحداث تفوق عسكرى إسرائيلى جعلها قادرة على تنفيذ الثغرة (معركة الدفرزوار) بنجاح ، وبدون هذا الدعم العسكرى الأمريكى لإسرائيل بطريقة مباشرة وسافرة ما كان يمكن لإسرائيل تحقيق النجاح الذى حققته فى المرحلة الأخيرة من الحرب .



خط سير طائرات الجسر الجوى الأمريكى عام ١٩٧٣
خريطة رقم (٤)